تقريب الوصول إلى علم الأصول

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الاولى

1410هـ - 1990م

تقريب الوصول إلى علم الأصول

للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي الغرناطي المالكي

"صاحب القوانين الفقهية"

المتوفى سنة 741هـ

دراسة وتحقيق

محمد علي فركوس

أستاذ مساعد ومدير الدراسات بالمعهد العالي
لأصول الدين - جامعة الجزائر-

دار التراث الإسلامي للنشر والتوزيع
ص ب 58 حيدرة الجزائر

بسم الله الرحمنْ الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

وصلاة الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، وإخوانه ، أجمعين إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإنه مما لا يخفى ، ما لعلم أصول الفقه من أهمية بالغة ، وفوائد جمة متعددة تثبت ضرورة دراسته ، والتزود بقواعده ، والتمرس بأسلوبه ، فهو من أشرف العلوم مكانا وأعظمها قدرا ، وأعمها نفعاً ، فهو الوسيلة الناجحة لحفظ الدين وصيانة الشريعة ، وهو المنهاج القويم للاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة والنصوص ، لذلك لا يمكن أن يستغني عنه طالب العلم ولا العالم الباحث في الفقه والحديث والتفسير ، الذي يستخدمه كدعامة أساسية لدراسة المذاهب المختلفة والمقارنة بينها ، فعلم الأصول عنده بمثابة المقياس الذي توزن به الآراء عند الاختلاف وبواسطته تضبط الفروع الفقهية ، وتجمع القواعد والمبادىء المشتركة ، وبه تظهر وجوه الاختلاف بين الفروع والأصول ، وعنده تدرك سبب المخالفة ، وبذلك يعرف المطلع أن أسباب الخلاف بين الأئمة المجتهدين لم تكن مدفوعة بهوى جامح ، أو مصلحة شخصية ، أو مقصد مادي أو أدبي ، بل

هي أسباب موضوعية علمية ، اتخذ المجتهد فيها وسيلة علم أصول الفقه بما فيه من القواعد وطرق الاستنباط ليصل إلى معرفة أحكام الله تعالى في أفعال العباد ، حتى يلتزم المكلف حدود الله تعالى ، فيأتمر بأوامره ، ويتجنب نواهيه ومحارمه .

وفي هذا المضمون ، فقد استرعى انتباهي كتاب أصولي قيم على المذهب المالكي ألّفه العالم الغرناطي الشهير : أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزي - رحمه الله تعالى - (ت : 741)أحد كبار العلماء المالكيين في الأندلس ، وأحد المبرزين في الفقه وأصوله ، والكتاب موسوم بعنوان : « تقريب الوصول إلى علم الأصول » وقد وجدت فيه ما دعاني إلى اختياره واتخاذه محلاً للدراسة والتحقيق ، ويمكن تلخيص أسباب ودواعي اختياره بتقديم وجه الكتاب بصورة عامة وشاملة على ما يأتي :

من المؤكد أن لهذا الكتاب قيمة علمية معتبرة بين كتب الأصول المختصرة شكلاً وموضوعاً ، فقد توخى فيه المؤلف الإيجاز ، والاختصار ، والتقريب ، والاستقصاء لكافة أبواب الأصول ، وجرّده من الحجج الشرعية ، والتعليلات العقلية التي يحتاج إليها ذوو الخبرة والإختصاص في العلوم الشرعية ، واكتفى بالإشارة إلى مواضع الوفاق والخلاف ، واعتمد أساساً على مصدر أصولي مالكي لشهاب الدين القرافي المعنون بـ « شرح تنقيح الفصول » [1] وانطلاقا من هذه المعطية فيمكن اعتبار كتاب « تقريب الوصول »

(1) شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول : للإمام شهاب الدين أحمد ابن ادريس القرافي . حققه طه عبد الرؤوف سعد . دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - 1973 م - 1393 هـ .

اختصاراً لكتاب : « شرح التنقيح » . ووجه التباين بينهما يظهر من الناحية المنهجية الشكلية المتمثلة في : دقة التقسيم والترتيب والتبويب ، فضلا عما زاد عليه المؤلف جانب المعارف العقلية ، وما انفرد به من إقحام لأسباب الاختلاف بين الفقهاء .

وليس معنى هذا أن يكون المؤلف مجرد ناقل للآراء والأقوال ، بل كان صاحب أصالة وفقه وغزارة علم ، وذلك ظاهر من خلال حسن التبويب والترتيب على الجملة ، واستقلاله بالتعاريف الإصطلاحية ، وتثبيت الراجح - عنده - من الأقوال ، ثم الذكر عقبه لآراء المخالفين ، لذلك ، وغيرها من المسائل ، الدالة دلالة غير خفية على أن المؤلف ذو موقف ورأي فيما ينقل .

هذا ، وقد يسره المؤلف للقارىء ليمكنه من الاستفادة منه بسهولة ، والاطلاع عليه من غير نصب ولا تعب ، وقد أشار إلى ذلك في بداية الكتاب ، وجاءت تسميته له لهذا الغرض ، كما أطلق عليه تسمية « مقدمة » نظرا لوجازة مسائله ، وقصر مباحثه ، ولكونه حافزاً ومطية للمتوغل في المسائل الأصولية المتشعبة ، وفي هذا المعنى ختم به الكتاب بما نصه : « كملت المقدمة المباركة بحمد الله ، وحسن عونه » . وسيأتي تفصيل هذا الكلام عند التعرض لمنهجية المؤلف .

وبهذا الصدد ، فقد تناولت دراسة هذا الكتاب وتحقيقه باتباع منهجية متمثلة في قسمين : الأول دراسي ، والثاني تحقيقي .

القسم الأول : يظهر القسم الأول في النقاط التالية :

(1) التعريف بالمؤلف ، وذلك بتقديم ترجمة شاملة له تحتوي على : اسمه ، ونسبته ، ومولده ، ونشأته ، وأصله ، ومكانته العلمية ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ومصنفاته ، وأخلاقه ، وشعره ، ووفاته .